

رسائل من الشيخين الونيسي والعمري

ورسالة من يحيى بوعزيز

أ.د. أبو القاسم سعد الله

رسائل من الشيخين الونيسي والعمري

لِلرِسَالِ أَوْ الْمِرَاسِلَاتِ طَعْمٌ خَاصٌ فِي الْحَيَاةِ الْفِكْرِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ، وَهِيَ تَكْشِفُ أَحْيَانًا عَنْ أَسْرَارِ شَخْصِيَّةٍ لِمُصَاحِبِهَا يَعْتَقِدُ الدَّارِسُونَ أَحْيَانًا أَنَّ مُصَاحِبَهَا بَعِيدٌ عَنْهَا، فِي حِينٍ أَنَّهَا طَبِيعِيَّةٌ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ - رَغْمَ آرَائِهِ الْمَعْلَنَةِ، يَعْيشُ فِي مَجْتَمَعٍ وَمُحِيطٍ يَفْرُضُ عَلَيْهِ التَّجَاوُبَ وَالتَّرَاسُلَ وَالْمُجَامَلَةَ وَالتَّعَامُلَ حَتَّى مَعَ أَهْلِ غَيْرِ دِينِهِ وَمَنْ لَا يَتَّفَقُونَ مَعَهُ فِي الْمَذْهَبِ أَوْ فِي الْفِكْرَةِ (الْإِيدِيُولُوجِيَّةِ).

وَمِثْلُ هَذَا نَجِدُهُ فِي طَلَبِ الشَّيْخِ حَمْدَانَ الْوَنِيسِيِّ وَظَلِيفَةِ الْفَتَاوَى مِنْ حَاكِمِ الْجَزَائِرِ الْفَرَنْسِيِّ عَنْ طَرِيقِ الْوَالِي وَلايَةِ قَسَنْطِينِيَّةِ الَّذِي طَلَبَ مِنْهُ تَرْكَائِيَّتَهُ أَيْضًا. وَنَحْنُ نَعْرِفُ مِنْ مَصَادِرٍ أُخْرَى أَنَّ الشَّيْخَ الْوَنِيسِيَّ كَانَ نُمُودَجًا لِلْحَثِّ عَلَى الْإِبْتِعَادِ عَنِ السُّلْطَةِ الْإِسْتِعْمَارِيَّةِ حَتَّى نَصَحَ تَلْمِيزَهُ عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنِ بَادِيسَ بِعَدَمِ قَبُولِ أَيِّ وَظَلِيفٍ مِنْهَا، وَأَنَّهُ غَادَرَ الْجَزَائِرَ مُهَاجِرًا حِينَ ضَيَّقَ عَلَيْهِ الْفَرَنْسِيُّونَ فِي التَّعْلِيمِ الْمَسْجُودِيِّ، تَارِكًا إِمَامَةَ الْجَامِعِ الْكَبِيرِ فِي قَسَنْطِينِيَّةِ، لِذَلِكَ لَا يَسْتَغْرِبُ الْمُرءُ أَنَّ تَكُونَ هَجْرَتُهُ نَتِيجَةً غَيْرَةً أَوْ خِيْبَةً أَمَلٍ حِينَ عَيَّنَ الْفَرَنْسِيُّونَ الْمَوْلُودَ بْنَ الْمُوهُوبِ مُفْتِيًا لِلدِّيَارِ الْقَسَنْطِينِيَّةِ وَلَمْ يُولَوْهُ هُوَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَقَدْ تَأَثَّرَ تَلْمِيزُهُ ابْنَ بَادِيسَ بِمَا حَدَثَ

فكان يعتبر نفسه أقرب إلى الشيخ الونيسي منه إلى الشيخ ابن الموهوب.

أما النموذج الثاني في تعامل الإنسان مع غير أهل دينه ومجاملتهم فيتمثل في رسالة التقريظ التي كتبها ابن باديس إلى السيدة والسيد غوفيون على كتابهما (أعيان المغاربة) الذي ألفاه خلال العشرينات، ولا شك أن ذلك كان بطلب منهما "توريظاً" له، لأن عائلة غوفيون كانت تكتب بالصور والمعلومات والأوسمة عن أعيان الجزائر والمغرب الذين خدموا ركاب الاستعمار ونالوا من السلطة الجزاء الأوفى. ولعل ابن باديس قد ندم بعد ذلك على ما كتبه عن (أعيان المغاربة)؟ ولأمر ما لا يتعرض المترجمون لابن باديس إلى هذه الرسالة (التقريظ) التي بادر غوفيون بترجمتها إلى الفرنسية تاركا نصها العربي مصوراً على ما هو عليه.

وللشيخ الونيسي رسالة تقريظ لكتاب ألفه الشيخ محمد بن يوسف الكافي ويدعى (نصرة الفقيه) والفقيه هو الشيخ الكافي، والشيخ المردود عليه هو - فيما يظهر - الشيخ المتجول المكي بن عزوز المولود في نقطة بتونس، وهو من أسرة جزائرية مهاجرة من طولقة بعد احتلال بسكرة سنة 1844. ويمكننا اليوم أن نعتبر المسألة التي اختلف حولها هؤلاء العلماء تافهة في وقت كان فيه العالم يهتز تحت تأثير القوميات الأوروبية والجامعة الإسلامية، لأن

الخلاف كله حول ما إذا كان الإمام مالك قد قال بالسدل في الصلاة أو القبض.

وفي هذا النطاق تقرأ رسالة التقريظ الثانية الصادرة أيضا عن أحد الشيوخ المهاجرين من بلدة سيدي عقبة بنواحي بسكرة. وهو الشيخ محمد العمري العقبي، والمعروف أن موجة من المهاجرين من هذه المنطقة شملت عائلة الشيخ الطيب العقبي أيضا الذي نشأ (منذ كان عمره حوالي خمس سنوات) في المدينة المنورة. فلعل الشيخ العمري العقبي يمتّ بصلة إلى الشيخ الطيب العقبي داعية الإصلاح في الجزائر.

وهذا الجيل من المهاجرين المدرسين والمتعلمين هو الذي التقى بهم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي حين هاجر أيضا قبل الحرب العالمية الأولى والشيخ عبد الحميد بن باديس حين حج والتقى بشيخه الونيسي في نفس الفترة وأسرة العقبي. ومن هذه النواة ولدت فكرة جمعية تضم علماء الجزائر، وهي الجمعية التي نضجت فكرتها وظهرت إلى الوجود سنة 1931.

إن نشرنا لهذه الرسائل لا يزعم أننا جئنا بالجديد كله،
ولكن فيما ننشر اليوم أضواء على علاقات العلماء الشخصية
والإدارية والفكرية، والمستوى العقلي الذي كانوا عليه في مواجهة
الغزو الأوروبي الكاسح.

دالي إبراهيم، الجزائر، 2009/12/26

1- أ - رسالة الشيخ حمدان النونسي يطلب وظيفة مفتي قسنطينة

الحمد لله وحده

المعظم الأرفع سعادة السيد البريفي⁽¹⁾، الحاكم بقسنطينة وسائر
عمالتها⁽²⁾.

عليكم السلام التام الشام(كذا)⁽³⁾ العام، عليكم وعلى من تعلق
بحضرتكم.

هذا والمطلوب من سيادتكم أن ترسل طلبي إلى السيد الوالي
العام⁽⁴⁾ بالجزائر، وذلك أنني أطلب منكم ومنه وظيف (كذا)
فتوى المالكية بالجزائر بدلا من مفتي المالكية السيد على بن
الحفاف⁽⁵⁾ المتوفى، وذلك لأنني من المتأهلين لذلك المترشحين لما
هنالك، وإني الآن من المدرسين الذين تحت نظركم وأرجوا (كذا)
منكم أن تكونوا معي في الارتقاء إلى هذا الوظيف (كذا) الذي
هو أكثر من وظيفي (كذا) وتساعدوني عليه. وأنتم أعلم بسيرتي
من غيركم، فإني تحت إدارتكم.

1 - رئيس الدائرة الفرنسي

2 - العمالة = الولاية

3 - كذا، ولعلها الشامل

4 - الوالي العام = الحاكم العام le Gouverneur général

5 - عن علي بن الحفاف ف ت 1307هـ، أنظر كتابنا تاريخ الجزائر الثقا في

وعليكم السلام من حمدان بن أحمد بن الونيسي المدرس بالجامع
الكبير بقسنطينة.

وكتب بالتاريخ أعلاه⁽¹⁾

1 - (ليس ثمة تاريخ بأعلى الورقة في النسخة التي بين أيدينا). ولكن الرسالة مؤرخة بـ
15 أكتوبر 1889 رقم B3/227

ملحق (أصلي)

وجدنا الكلمات الآتية في نهاية الرسالة فأثبتناها لأنها توضح بعض الأمور فيها: "رسالة من حمدان الونيسي إلى والي قسنطينة يطلب فيها تعيينه مفتي المالكية بالجزائر". (بعد هذا تأتي عبارة غير مقروءة لأن الصورة فيها محو). ولا ندري اليد التي أضافت الملحق ولا العبارة غير المقروءة. عن نشاط الونيسي في فاتح القرن العشرين بقسنطينة أنظر كتابنا تاريخ الجزائر الثقافي.

1 - ب - رسالة تقرّظ لمؤلف كتاب نصره الفقيه السالك(*) ... من الشيخ حمدان بن الونيسي الجزائري القسنطيني أحد مدرسي الحرم النبوي:

حمدا لمن حفظ مذاهب الأئمة الأعلام من التحريف والتبديل والأوهام وقيض لها فطاحل الأقلام تذب عنها بأدلة أشد من وقع

* - (نصرة الفقيه السالك على من أنكر مشهورية السدل في مذهب مالك) تأليف الشيخ محمد بن يوسف الشهير بالكافي التونسي أحد مدرسي الحرم النبوي. مطبعة الأمة، بشارع درب شغلان، جهة قسم درب الأحمر، (القاهرة، مصر)، بدون تاريخ.

السهام، والصلاة والسلام على من نوه بعلو كعب أئمة الإسلام، وعلى آله وصحابه أولى الفضل والاحترام.

أما بعد فقد أطلعني العلامة المحقق والدراكة المدقق المتوكل على مولاه الكافي سيدي الشيخ محمد بن يوسف الكافي على كتابة له بهية ذات تحقيقات نفيسة سنية في الرد على من أنكر السدل في مذهب مالك وزعم أنه بدعة يتبرأ منها المالكي السالك. ولما تأملت في معانيها وأجلت النظر في أطرافها ومبانيها وجدتها نصرة في الدين وغيره على إمام أئمة المسلمين من أن تتلاعب به أفهام دعاة الاجتهاد من متفقهة هذه الأعصر في أقطار البلاد، أجاد فيها مؤلفها وأفاد وقام بهذا الفرض الكفائي يناضل بسهام النادلة المتينة الأوتاد. فلعمر الحق انها لأفضل هدية ناسك وأحسن هيئة سالك إلى مذهب مالك، وهي الجديرة بهذا الاسم لمن حذق الحدود والرسم.

فجزى الله مؤلفها بالروح والريحان في قصر الجنان. فقد كفى المالكية مؤنة الذب عن المذهب بالقدر الكافي. كيف لا، ومؤلفها العلامة الكافي.

ولما اشتملت عليه هذه النصرة من المحاسن والأسرة قلت مخاطبا لها، شغفا بها وولها.

يا نصرة السالك المبرور طولي على من رام بالظفر هدم هيكل وعلا
لا تختشي واسدلي يد الفخار فقد حماك بل حباك الكا في تاج علا
فاستبشري قد حداك الغرب⁽¹⁾ قاطبة وقد سقاك انتصارا أزهر علا
على مؤلفك (الكا في) تكرمة من سادلى الأيدي في قيامهم عملا

تحريرا في 8 ربيع الثاني سنة 1328
محبكم حمدان بن النونسي القسنطيني

1 - الغرب هو ما نسميه اليوم المغرب العربي

1 - ج - رسالة تقرّظ أخرى للشيخ محمد العمري العقبي
الجزائري أحد مدرسي الحرم النبوي

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الجهبذ النقاد والنجم الثاقب والراسخ القدم في
المعارف والحكم صاحب الفضائل المشهورة والمناقب الصالحة
المأثورة جناب الشيخ سيدي محمد بن يوسف الكافي متع الله
بوجوده الإسلام وأعلى درجاته مع المقربين في دار السلام. السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد فقد وقفت على رسالة حديثة عهد الوجود جاءت من
اسلامبول تدعى ب(هيئة الناسك في أن القبض هو المتعين في مذهب
مالك)، لم ندر من أبوعذرهما وجاني حلوها ومرها، ولم نعلم ما
يريد بتأليفها. وبالجمل أنكر السدل الذي مشروعيته عند
المالكية بل وغيرهم بالنسبة إلى العلم به في مذهبنا من البديهيّات،
وأجلب على هذه الدعوى الباطلة بخيله ورجله ووبله وطله حتى آل
أمره إلى أن ضعف رواية شيخ المذهب وحامل لوائه ومن بعده إلى
زمننا، بل كذب كل ناقل في هذه القضية خلافا حتى خارج
المذهب. فكدت من هذه الافتراءات أشك في وجودي، وأتردد في
الفرق بين عيني وشهودي، فأكون من اللأدرية أو إختوتهم

العندية(٩)، عمدتي الطائفة السوفسطائية لشدة تمويه كلام صاحب هذه الرسالة وتدليسه وتحريفه وتزويره وتلبيسه. بيد أنني رجعت إلى الله في سؤاله العصمة من الفتن ما ظهر منها وما بطن، تاليا قوله جلت قدرته، "ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا". ومتمثلا بقول بعض الكبراء:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

ومكثت أياما أجيل الرأي في الكتابة عليها حسب بضاعتي المزجاة أو أتركها على أنها مكشوفة التزوير عادمة التحرير، إلى أن قيضك الله، أيها السيد الجليل، إلى هدم أركانها وتقويض بنيانها وتمزيق جلبابها وتقطيع أهابها وإظهار ما اختلسته من النصوص الناطقة^(*) بالصواب وما أخفته من المسائل السافرة عن وجه الحقيقة النقاب بتأليفك التحقيق بأن يكتب بماء الذهب ويصان في صوان النفوس، ويعجب أولوا (كذا) التحقيق من تحقيقاته وأصحاب التداقيق من تدقيقاته، فله أنت من بصير بحل كل عويص مدرب باصطياد كل قنيص. وجزاك عن دينك

* - قوله "الناطقة"، لعل العارية الخ. (التعليق بالأصل)

ومذهبك من أسدى إليك العلم ومنحك الحكمة والحكم، وفضلك
على كثير من خلقه تفضيلا، والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته.

يا هيئة الناسك المزور جانبه	عن الهدى زوري في غير وادينا
أفي مطالع شمس الحق تلتمسي	منا ضلالا ونور الحق يهدينا
فالناس أحياء مازالت مذاهبهم	محفوظة بينهم ما غيروا دينا
حتى تعود صروح العلم دارسة	أزمان فتنة دجال فزورينا
ما جاء وقتك، عودي غير حامدة	غب السرى واخنسي يا هذه حيننا
خذي نجوم رجوم من سماء نهى	فرب الجلالة حامينا وكافينا

تحريرا في 10 ربيع الثاني سنة 1328

محبكم: محمد العمري العقبي الجزائري

ملحق

غلب الظن أن اسم هذا الشيخ يدل على أنه من بلدة سيدي عقبة مثل الشيخ الطيب العقبي الذي كان أيضا في المدينة في نفس الوقت. وقد لحق بهم الشيخ البشير الإبراهيمي ثم الشيخ عبد الحميد بن باديس بعض الوقت. وقد وجدنا أيضا اسمين لشيخين من تونس كتبوا أيضا تقريرا وهما صالح الشريف⁽¹⁾ الذي هاجر من تونس إلى اسطنبول والشيخ الحيوني (الجبروني) البنزرتي ولكننا لم نورد تقريريهما هنا. ويبدو أن الشيخ الموجه إليه النقد على رأيه في السدل هو المكي بن عزوز⁽²⁾ وهو تونسي (من نفطة) من أصول جزائرية (من طولقة) لأن اسمه يظهر في رسالة نصرة الفقيه.

1 - أصل الشيخ صالح من بجاية، وكان معلما بجامع الزيتونة، وهاجر إلى المشرق ولعب دورا تحريريا ضد فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى أنظر ج 5 من كتابنا تاريخ الجزائر الثقافة.

2 - المكي بن عزوز أنظر تاريخ الجزائر الثقافة، ج8، وكذلك مقالة الشيخ عبد الرحمان الجيلالي: ترجمة العلامة الأستاذ المكي بن عزوز، الشهاب، الجزء 11، ص 660.

عن وجه الحنية الثقاب بتأليف الحقيق بان يكتب ماء الذهب ويصان في
صوان الفوس ويعجب اولوا التحقيق من تحقيقاته وأصحاب التدقيق من
تدقيقاته فلما أنت من بصير محل كل عويص مدرب باصطيد كل قنيص وجراك
عن دينك ومنهجك من اسدى اليك العلم ومنحك بالحكمة والحكم وفصلك على
كثير من خلقة تفضيلا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بِحَيَاةِ النَّاسِكَ الْمَزُورِ جَانِبِهِ
 أَفَى مَطَالِعِ شَمْسِ الْحَقِّ تَلْمِئُ سَمِي
 فَالنَّاسِ أَحْيَاءُ مَا زَالَتْ مَذَاهِبُهُمْ
 حَتَّى تَعُودَ صُرُوحُ الْعِلْمِ دَارِسَةً
 مَا جَاءَ وَقْتُكَ عَوْدِي غَيْرَ حَامِدَةٍ
 خَذِي نَجْوَى جُوعٍ مِنْ سَمَاءِ نَهْيِ

تحریر فی ۱۰ ربیع الثانی سنۃ ۱۳۲۸
محمد العزیزی العقی الجزائری

وهذه تقاريف لبعض الأجلة الاعلام الذين هم لملك العلوم والفضائل كبد
التمام منهم حضرة العلامة التحرير صاحب التحرير والتجوير عين السادة
الاعيان المشار اليه بالبيان الشيخ حمدان بن الونيسي التيزاني القسطنطيني احد
مدرسي الحرم النبوي أبقى الله وجوده وأشرق سعوده حمداً من حفظ مذهب
الامة الاعلام من التحريف والتبديل والاهام وقيض لها فطاحل الافلام
تذب عنها بآلة أشد من وقع السهام والصلاة والسلام على من نوه بعلو
كعب أئمة الاسلام وعلى آله وصحابه أولى الفضل والاحترام أما بعد فقد
أطلعني العلامة المحقق والدراكة المدقق المتوكل على مولاه الكافي سيدي الشيخ
محمد بن يوسف الكافي على كتابة له بهية ذات تحقيقات نفيسة سننية في
الرد على من أنكر السدل في مذهب مالك وزعم أنه بدعة يتبرأ منها المالكي
السالك ولما تأملت في معانيها وأجلت النظر في أطرافها ومبانيها وجدت نصرته في
الدين وغيره على اجماع أئمة المسلمين من أن تتلاعب به أفهام دعاة الاجتهاد
من متفهمة هذه الاعصر في أقطار البلاد أجاد فيها مؤلفها وأفاد وقام بهذا
القرض الكفائي يناضل بسهام الادلة المتينة الاوتاد فلعمر الحق انها لا فضل
هدية ناسك وأحسن هيئة سالك الى مذهب مالك وهي الجديرة بهذا الاسم
لمن حنق السدود والرسم فجزى الله مؤلفها بالروح والريحان في قصر الجنان
فقد كفي المالكية مؤنة الذب عن المذهب بالقدر الكافي كيف لا ومؤلفها
العلامة الكافي ولما اشتملت عليه هذه النصرة من المحاسن والاسرة قلت
مخاطباً لها شغفا بها وولها

من رام بالفقر هدم هيكل وعلا	يا نصرة السالك المبرور طولى على
حماك بل قد خباك الكافي تاج علا	لا تخشى واسدلى يد الفخار فقد
وقد سمالك انتصاراً ازهر علا	فاستشرى قد حذاك الغرب قاطبة
من سادى الايدي في قيامهم عملا	على مؤلفك الكافي تكرمة

محبكم

تحريراً في ٨ ربيع الثاني سنة ١٣٢٨

حمدان بن الونيسي القسطنطيني

الحمد لله وحده

المعظم الأرفع سعادة السيد البريفي، الحاكم بقسنطينة
وساير عمالتها.

عليكم السلام التام الشام(كذا) العام، عليكم وعلى من تعلق
بحضرتكم.

هذا والمطلوب من سيادتك أن ترسل طلبي إلى السيد الوالي
العام بالجزائر، وذلك أني أطلب منكم ومنه وظيف (كذا) فتوى
المالكية بالجزائر بدلا من مفتي المالكية السيد على بن الحفاف
المتوفى، وذلك لأنني من المتأهلين لذلك المترشحين لما هنالك، وإنني
الآن من المدرسين الذين تحت نظركم وأرجوا (كذا) منكم أن
تكونوا معي في الارتقاء إلى هذا الوظيف (كذا) الذي هو أكثر
من وظيفي (كذا) وتساعدوني عليه. وأنتم أعلم بسيرتي من
غيركم، فإني تحت إدارتكم.

وعليكم السلام من حمدان بن أحمد بن الونيسي المدرس بالجامع
الكبير بقسنطينة.

وكتب بالتاريخ أعلاه

الرسالة مؤرخة بـ 15 أكتوبر 1889 B3/227

وجدنا الكلمات الآتية في نهاية الرسالة فأثبتناه لأنها توضح بعض الأمور فيها.

"رسالة من حمدان الونيسي إلى والي قسنطينة يطلب فيها تعيينه مفتي المالكية بالجزائر". (بعد هذا تأتي عبارة غير مقروءة). وعن نشاط الونيسي في فاتح القرن العشرين بقسنطينة أنظر كتابنا تاريخ الجزائر الثقال.

الحريه وحركه

الروحانيه اروع سعاده السير البريقي الحاكم بفسطاطه سلطاني
 جميعا على كمال السامع الشام العام عليكم وعلى
 من تعلق بغيره من زوايا الكلوب من سيادتك ان ترسل
 قلبه الى السيد العالي العام بالجناحه وذلك ان اكلب
 منك ومنه وظيف فتوى المالكيه بالجناحه بدلا من مفته
 المالكيه السيره على بن الحجاب المتوجي وذلك لانه من
 المتاهل لترك المشرعيه لاهناك وان له من المدرسي
 في الزين تحت ذكركم وارجوا منك ان تكونوا معي في ارضاء
 الى هذا الوضف الذي هو اكثر من وضيفه وتساعده عليه
 واشتم اعلم بسببه من عنيكم فانه تحت اذارته وعليه السلام
 من محمد بن احمد لونييسي المدرس بالجامع الكبير بسنجينه
 وكتب بالتاريخ اعلاه

امرساله مذكره ١٥ اكتوبر ١٨٨٩

١٣٣٢/٣

رسالة من محمد بن الويسي (ع) عتفه
 فطلب منها فتمت حقن المالكيه بغيره
 من رحاكي سائر الحجاب

صورة لرسالة أخرى لحمدان لونييسي

رسالة مهاجرين جزائريين إلى الشام

الحمد لله وحده والصلاة على رسول الله ص، لا نبي بعده

أما بعد، حين وصلنا الى تونس ومكثنا فيها أيام وزرنا
المصالح الذين هم فيها، وسفرنا (=سافرنا) منها الى اسكندري
(الاسكندرية) ووصلنا اليها بعد مضي سبعة أيام ونحن في البحر،
لأن البحر في هذه المدة مهول من كثرة أمواجه، ومكثنا
بالأسكندري إحدى عشر يوما، وزرنا الأولياء الذين هم فيها.
وسفرنا منها الى ماصر(مصر) القاهرة، وزرنا الحسنين(=جامع
الحسين) والجامع الأزهر، وركبنا من ماصر الى برج اسعيد(=بور
سعيد)، وقمنا فيه يومين، وصرنا(=وصلنا) الى بيروت الشام، وقمنا
يوما وحد ليلة. وركبنا منه في المشينة (=القطار) الى دمشق الشام
يوم الأحد 1 في ذو القعدة، واسترحنا يومين.

وكتبنا كتابا الى السيد الوالي الذي بها نطلب منه المعاش
لنا، وكذلك طلبنا منه أن يملكنا بالبلاد والبقر ومن احتاج
للحراث، فأجابنا بقبول ذلك، وأمرنا (كلام غير مفهوم ربما يعني
حدد لهم موعدا) بالوقت، يوم 8 من الشهر الجاري بعث إلينا وأمرنا
بالدخول اليه فدخلنا عليه وفرح بنا فرحا كثيرا وقال لنا لا تخافوا

ولا تحزنوا فإنني على قريب نعطيكم ما طلبتموه مني من البلاد(=الأرض) وغيرها ما تحتاجوه من حبوب وبقر وبنني لكم الديار ونعطيكم المعاش والمصروف حتى تدرسون(=تحصدون) ما زرعتم، والغرامة لا تجب عليكم الا بعد مضي ثماني سنين، ومن استطاع القدوم فليقدم ويصحب معه السريح(التسريح؟) وورقة التعريف، ومن أراد القدوم الى الشام فإنه مخصص للجزائريون والتونسيون. أما البلاد فيقسمونها لكل رجل متزوج وغيره، وجعلوا لكل واحد منا دارا وحده مخصص بها في السكنى في هذه المدة.

ومن أراد أن يكاتبنا بجواب فيكون بتبليغه الى السيد محمد بن التهامي شطه الجزائري، بسوق سروج بدمشق الشام. والسلام علينا وعليكم آمين.

تعليق

(هذه نسخة من رسالة مخطوطة بخط أصلي سلمني اياها أحدهم بمدينة الجزائر، وهي مكتوبة بلغة عامية مفهومة، وتتناول منازل هجرة أحد الجزائريين الى بلاد الشام في حياة السيد محمد بن التهامي شطه الذي سبق بالهجرة إلى الشام، ويحاول صاحب الرسالة أن يغري الجزائريين الآخرين بالهجرة الى الشام لأن الدولة العثمانية توفر لهم وللتونسيين شروط الإقامة. والرسالة لا تحمل

تاريخا ولكن يبدو أنها كتبت أوائل القرن العشرين أثناء موجة الهجرة التي شملت تلمسان ومناطق أخرى من الجزائر. عن السيد شطة انظر كتاب الجزائر والأصالة الثورية لصالح خريف (الجزائر، 1977 ص 72). فقد جاء في هذا الكتاب أن محمد بن التهامي شطه من مدينة الأغواط حيث ولد، وأنه هاجر منها إلى تونس بعد احتلال الفرنسيين للأغواط سنة 1852، وبعد احتلال تونس من قبل الفرنسيين سنة 1881 هاجر شطه إلى سورية واستقر بها ثم انتقل منها إلى تركيا وقد اخذ خريف هذه المعلومات عن شطه من مقالة كتبها عنه أحمد قصيبة (وهو من الأغواط) ونشرها في مجلة الثقافة عدد 7، 1972.

كما ذكر الأمير محمد سعيد حفيد الأمير عبد القادر في مذكراته أن شطه كان صاحب جريدة (المهاجر) التي كان يصدرها بسورية قبل الحرب العالمية الأولى، وأن الأمير سعيد نفسه هو الذي كان يمول الجريدة. وهي ناطقة باسم المهاجرين الجزائريين في بلاد الشام.

ويخبرنا خريف أن شطه قد نشر المقالات التي كان يكتبها في جريدة الاتحاد الإسلامي في كتاب مستقل عنوانه (سلسلة مقالات)، دمشق، مطبعة الترقى، 1333 هـ (1914).

يوم 19 أبريل 2003

-رسالة يهودي مهاجر من الجزائر إلى إسرائيل

هذه رسالة غير عادية من رجل يهودي هاجر من قمار إلى فلسطين سنة 1955. ومن قبله هاجر عدد غير قليل من يهود قمار أيضا، كما جاء في الرسالة. واسم الرجل هو عطية غاستون. وقد بعث بالرسالة إلى من سماه سي معمر، وهو معمر بن الحاح أحمد أحد تجار وأعيان قمار. والمعروف أن كل يهود الجزائر كانوا فرنسيين بحكم التجنس الذي شملهم جميعا. وكانت منهم جالية في مختلف المدن والقرى الجزائرية، ولهم علاقات اقتصادية واجتماعية مع أهل قمار وغيرها، كما كان لهم حي خاص بهم يسكنونه ويتعبدون فيه ويحفظون فيه كتابهم، كما كانت لهم دكاكين يمارسون فيها مهنهم المفضلة في كل مجتمع، وهي الخياطة، والصرافة -التعامل بالنقود مع الفلاحين - وفحص الذهب والفضة. ولا تزال مقبرتهم موجودة في قمار إلى اليوم.

وفي إحدى زياراتي لقمار في السنوات الأخيرة سلمني محمد بن عبد الرحيم سعد الله نسخة مصورة من الرسالة لأطلع عليها، وكان قد سلمه إياها قريبه محمد نوار، وهو من مثقفي الجيل الحاضر وله خبرة في التفتيش في وزارة التربية وله بعض المؤلفات التي تتناول أدب الأطفال، ويبدو أن نوار قد تسلم النسخة عن

الأصل الموجود عند قابض الرسالة، وهو سي معمر المعروف
بمحمد بن الحاج أحمد. وهي النسخة التي وصلت إلى يدي.
والرسالة مكتوبة من (يوشيفيه) التي نزل بها هذا اليهودي
في شهر نوفمبر (دون ذكر اليوم) سنة 1955. ونقدم هنا ترجمتها من
الفرنسية إلى العربية. والرسالة لا تقدم حقيقة هامة، فصاحبها
يخبر أنه منح سكنا فيه كل المرافق ولكنه سكت عن حصوله
على الأرض. ولم يذكر إسرائيل بالاسم لأنه ربما كان يعرف -
وقد عاش أكثر من سبع سنوات في قمار بعد اغتصاب فلسطين -
يعرف أن نفوس الذين كتب لهم لا تطيق سماع هذا الاسم. وإليك
ترجمة الرسالة:



يوشيفيه، 11 - 1955

صديقي معمر (معمر ولد حاج أحمد)

أخبرك بأنني وصلت بالسلامة وفي صحة طيبة بفضل الله.
واعذرني كثيرا على عدم الكتابة إليك (فالأيام الأولى من

وصولي، أنت تعرف يا صديقي، أنهم يقولون بالعربي: المحولة مذبالة يا لو كان عروقها في الماء⁽¹⁾.

بداية، لقد كنت جديدا فلم أكن أشعر بالراحة، ولكن بفضل الله، استقر بي الحال على أحسن ما يرام، بعد بضعة أيام. فأنا الآن في (يوشيفيه)، وهي قرية تبعد ثلاثين كلم عن بئر السبع (بيرشيبا)، ولي فيها مسكن مؤلف من غرفتين ومطبخ وصالة دوش مع الماء الجاري والكهرباء. وفي هذه القرية عدد من الإسرائيليين الذين هاجروا من قمار. وفي كل حين أخبرهم عن عملي في قمار والتسهيلات التي وجدتها فيها والتي أحترمها، مع كل التجار، وبالخصوص مع سي معمر. وظني أنني سأعود إلى قمار مرة أخرى، ولكن بعد شهرين أو ثلاثة إن شاء الله لأشرب عندك شايا لذيذا كالعادة.

إنني لا أجد شيئا ذا بال أخبرك به سوى السلام الحار إليك وإلى عم الكبير (أي محمد الكبير وهو أحد أبناء معمر) وكل الإخوة، وأطفالهم، كل واحد باسمه، كبيرا كان أم صغيرا، وإلى العيد الغوار وأولاده، وإلى العوידات العيد (من لقبه محمودي)، وسحره (كذا، وهو طاهر) ب. حاج صالح، وكل

1 - أي أن الشجرة المنقولة من مكانها تذبل ولو وضعت عروقها في الماء مباشرة والجملة الواقعة بين القوسين في الأصل، والأولى منها غير كاملة.

إخوته وأولاده، وإلى الأخضر قاقه، ومفتاح محمد، وإلى كل إخوته، وإلى كشيدة علي، وإلى أبييني (لزعري) وأخيه وأولادهم، وعم (محمد) ملوكه، والصادق خضرة (ياجور أخو الشيخ عبد القادر)، وسي عبد الرحمن ماحي؟ (كذا والظاهر أنه يعني عبد الرحمن الدحي الملقب نوار)، وإلى القاضي وعدوله، وإلى الحاج حمية (كتبت في الرسالة لوميه) وجماعته، وإلى كل أهل قمار، كل واحد باسمه، وأيضا إلى البشير الملحة (خلف).

إنني أعتمد عليك يا سي معمر أن لا تنسى أن تبلغهم تحياتي.

عطية غاستون.

❖ - كل الكلمات التي بين القوسين (...) هي من إضافتنا بمساعدة ابن عمي عبد الرحيم سعد الله. فله كل الشكر. وهو مطلع على أسماء وألقاب الأهالي بحكم اختلاطه الاجتماعي وعمله في بلدية قمار سنوات.

رسالة من يحيى بوعزيز

حياة الأستاذ يحيى بوعزيز شبيهة بحياة كل الجزائريين الذين حرموا من تعليم منظم في عهد الاستعمار الفرنسي لبلادهم. فلجأوا إلى التعليم التقليدي، بحيث يبدأ التلميذ فيه بحفظ القرآن الكريم في جامع القرية أو إحدى الزوايا، ثم ينتقل إلى حفظ المتون وقواعد اللغة العربية والفقه ومبادئ التوحيد، وهكذا يدخل التلميذ عالم التراث الإسلامي بكل تفاصيله. ولكن كل هذا لا يجعل منه متعلما ولا شيخا عارفا بالدين ولا فاهما للقرآن وعلومه. وإذا أراد التلميذ المزيد من العلم فما عليه إلا أن يشد الرحال ويتغرب فيقصد معاهد العلم في الحواضر الإسلامية والعربية ويدرس فيها على شيوخ لهم أيضا تكوين تقليدي ولكن متين. وذلك هو ما فعله الأستاذ يحيى بوعزيز. فقد اتجه بعد الدراسة في مسقط رأسه إلى جامع الزيتونة بتونس حيث نال شهادة التحصيل (بكالوريا) ومن تونس إلى القاهرة حيث التحق بجامعة القاهرة وتخصص في التاريخ ثم تخرج منها بشهادة الليسانس. ثم رجع من القاهرة إلى الجزائر لمباشرة التعليم الثانوي ثم الجامعي بعد أن تأهل له.

لا أذكر أننا قد تعارفنا في تونس، ولعله التحق بها بعد مغادرتي لها. أما في القاهرة فقد تعاصرنا وتزاورنا واشتركنا في اتحاد الطلبة الجزائريين، واشتركنا في عضوية اللجنة الثقافية التابعة لفرع الاتحاد. وكان سي بوعزيز يتميز بالجدية والصرامة وبالتسرع في الحكم أحيانا، وكان فيه شيء من العصبية والتوتر. وكان يساهم بقلمه في مجلة الاتحاد، وله مخططات أخرى لكتابة تاريخ الجزائر السياسي بعد أن بدأه من تونس بإصدار كتابه عن الأمير عبد القادر. ثم انقطعت عني أخباره منذ سافرت في منحة إلى أمريكا ولم نلتق ثانية إلا في الجزائر ابتداء من سنة 1967.

كنت عندئذ الأستاذ الجزائري الوحيد الحامل لشهادة الدكتوراه في التاريخ. ومن ثمة كنت مؤهلا لتأطير عدد من حملة الليسانس في التاريخ من الشرق، مثل سي بوعزيز. فاتصل بي هو وغيره للتسجيل علي، ولكن التيار الفرنكفوني في جامعة الجزائر وضع عراقيل عديدة حتى لا أتمكن من تخريج دفعة مؤهلة للتدريس الجامعي والبحث العلمي بالعربية. وكان للاعتراض مبرر ظاهر وهو حداثة قسم التاريخ بالعربية وعدم وجود مصادر للبحث باللغة العربية، بالإضافة إلى أنهم لم يعترفوا بشهادتي ومؤهلاتي للإشراف على الأطروحات إلا نهاية سنة 1968. أما الوجه الباطن للاعتراض فهو أنني متخرج من أمريكا وليس من فرنسا، وأنني إذا

خرجت عددا من حملة دكتوراه الحلقة الثالثة وما بعدها أكون قد مهدت الطريق أمام إبعاد الأساتذة الفرنكفونيين الذين يدرسون في الجامعة بشهادة التبريز فقط أو الذين يحملون دبلوم الدراسات العليا وغيره من الدبلومات التي لا تؤهل للتأطير. وهكذا كان الصراع ظاهرا وخفيا بيني وبين أساتذة القسم وإدارة الجامعة المفرنسة. وقد وصل بهم الأمر في مرحلة ما إلى غلق التسجيل في الدكتوراه تماما بدعوى أن إمكانيات الدراسة فيها غير متوفرة، وكان الذي يريد التسجيل في الدكتوراه عليه أن يسجلها في فرنسا، رغم أن الجزائر عندئذ كانت تجلب الأساتذة الأكفاء من الجامعات العربية لكي يخرجوا لها مجموعة من حملة الدكتوراه في مختلف العلوم الاجتماعية المعربة. وبقرار غلق الدكتوراه أصبح هؤلاء يأتون للتدريس فقط ولا يستطيعون تأطير طلاب الدراسات العليا.

ومع ذلك سجل سي بوعزيز علي للدكتوراه في موضوع تناقشنا فيه طويلا قبل تسجيله وهو دور عائلي القراني والحداد في ثورة 1871. وكان من رأيه أن يكون الموضوع ثورة 1871 كلها. ولكنه في النهاية قبل الموضوع الأول. وكان سي بوعزيز -وهو لا يعرف جو الجامعة المشحون - يريد أن يتعجل النتيجة ويختصر الطريق. وكان متأثرا بأسلوب البحث في المشرق وهو الجمع والتصنيف وسرد المعلومات وقلة مناقشة الروايات المختلفة، إلخ.

ولكني - وقد استفدت من تجربتي في الغرب - كنت أكبحه وأرده وأطلب منه أمورا يراها ربما تعجيزية. ومع ذلك صبر معي رغم تضايقه أحيانا من شروطتي، وتوصلنا إلى مناقشة الأطروحة التي حصل بها على دكتوراه الحلقة الثالثة. وبعد تحرره من رتبة المشرف ولجنة المناقشة كتب كلاما نشره في مجلة الأصالة على ما أذكر رد فيه على بعض الأساتذة منوها بشروطي القاسية في منهجية البحث.

والمهم هو أن سي بوعزيز بعد ذلك يتحين الفرص للتسجيل خارج الجزائر كما نصحته أو مع أستاذ آخر، وكنت في نفسي لا أحبذ أن ينال معي الطالب الواحد شهادتين لأنني أرى أن ذلك لا يخدم البحث العلمي في البلاد وأن من مصلحتها ومصلحة الطالب أن يختار مشرفا آخر يتعلم منه الجديد، بل أن يسجل في جامعة أخرى أجنبية مثلا يكتسب من أساتذتها ولغتها ومصادرها ما يضيف قيمة إلى علمه. ولذلك حاولت إبعاد سي بوعزيز عني واقترحته عليه عدة حلول.

والرسالة التي بين أيدينا تعتبر جوابا لي بعد أن فكر وقدّر وربما اتصل وعلم ما ستكلفه الدراسة في الخارج. وقد أصبح صاحب عائلة ومصالح في الجزائر. تذكر الرسالة الصعوبات التي كان يحس أن عليه أن يواجهها. وقد برر البقاء في الجزائر بعدة

أمر ذكرها واعتبر التسجيل في الخارج "عقدة". ورجع إلي طالباً التسجيل معي مقترحاً بعض الموضوعات. وكان يريد الحصول بالتسجيل على تفرغ أو انتداب. وذكر مبررات الاستعجال.

ذو تمثل الرسالة نموذجاً من كتابة الأستاذ يحيى على العموم. فهو يكتب بأسلوب مباشر سريع هدفه توصيل الفكرة دون تصنع ولا اختيار للكلمات أو التلاعب بالألفاظ. ولذلك اختار الموضوعات السياسية المعتمدة على الوصف والسرود والحكم السريع الفاصل.

ولا أذكر بأي جواب أجبته ولكنه لم يسجل، ثم التقينا عدة مرات في ملتقيات ونحوها وكنت كلما زرت وهران أتوقف في بيته للسلام عليه والسؤال على صحته. وكنا نتصل بالهاتف أحياناً، وعندما كان يحقق بعض الكتب كان يسألني بعض المعلومات كما كنت أسأله عن بعضها عندما يتعلق الأمر بموضوعه المحبب وهو الحياة السياسية في وهران ونواحيها. وأحسست أن الزمن بدأ يفعل فعله معه ودب الفشل في أعضائه وخصوصاً عينيه، واعتراه نوع من القنوط والإحباط ولكنه ظل ينتج إنتاجاً غير متقن أحياناً ولا سيما إخراج كتب التراث تحت عنوان "تحقيق" ولكن التحقيق في الغالب غائب عنها.

ومع ذلك يعتبر بوعزيز من القلائل الذين ساهموا بجد في كتابة تاريخ الجزائر تأليفا وتحقيقا ومن الذين درسوا التاريخ عن حب واحتراف، فتمرس بآراء منظريه وأتقن أدواته وتقيد بأحكامه في غالب الأحيان. وهو من المكثرين في الإنتاج مستفيدا من المدرسة العربية والمدرسة الفرنسية تمهيدا لإنشاء مدرسة علمية خالية من تحريفات الاستعمار ومن مبالغات الوطنية الضيقة.

بسم الله الرحمن الرحيم

وهران في 84/01/28

عزيز (كذا) الفاضل الأستاذ أبو القاسم سعد الله بعد
التحية والتقدير:

لقد مضى على انتهائي من دراسة ثورة 1871 ست سنوات
كاملة، ومازلت حتى الآن لم أسجل للمرحلة الثانية لعدة أسباب
أشرحها لكم باختصار:

أولاً: أشعر بتعب في عيني، وأرقد بهما ما أمكن حتى لا أضيعهما
تماماً

ثانياً: انشغلت بإنجاز أعمال، ولو شبه هامشية، إلا أنها تسد بعض
الثغرات في تاريخنا الوطني سوف ترى النور في الأوقات الممكنة.

ثالثاً: حاولت التسجيل في القاهرة، ولم أوفق، ولم أتابع، وحاولت
ذلك في دمشق خلال العام الماضي بواسطة الأخ الركيبي، ثم عدلت
أنا بنفسني لأسباب قد أشرحها لكم إذا ما التقينا ولم أحاول ذلك
في فرنسا لعدم قدرتي على التحرير بلغتهم، وعدم استساغتي
فكرة الوساطة والإبانة في ذلك.

وقد رأيت أخيرا أن أسجل في جامعة جزائرية (وهران) ما دام ذلك ممكنا، وأن أتجاوز عقدة الخارج هذه التي حان الوقت لتخطيها. وليس ذلك صعب أو مستحيلا. وفكرت فيكم للإشراف، فما رأيكم؟ وإذا تفضلتم بالقبول فإني أقترح عليكم إحدى (كذا) الموضوعات التالية، مع إمكانية تعديلها، وتحويلها، أو اقتراح غيرها:

أولا: العلاقات الجزائرية الاسبانية من خلال مراسلات بولوني؟ (1780- 1798) (وقد عملت في هذا الميدان وحققت كثيرا من الرسائل في تقريرها من الأرشيفات الاسبانية باسبانيا نفسها.

ثانيا: انتفاضة الجنوب الوهراني (1864- 1873)

ثالثا: ثورة أول نوفمبر 1954 ككل، أو جانب من جوانبها السياسية أو العسكرية (وهو موضوع أميل إليه أكثر من غيره).
رابعا: ما كتب عن ثورة أول نوفمبر: إحصاء وعرض وتقييم (أميل إليه كذلك).

إني حاليا بحاجة إلى الموافقة من أجل التسجيل والحصول على انتداب أو تفرغ. فإذا رأيتم أن ترسلوا الموافقة ولو بصفة مبدئية لتحقيق هذا الغرض، ثم نتناقش في الباقي ونتحاور. فذلك أحسن أرجو الجواب قبل بداية السداسي إن أمكن وشكرا والسلام.

يحيى بوعزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمِنْ أَمْرٍ ٨٤/٥١/٢٨

عزير الف قل الاستاذ ابراهيم بعد الله بعد النعمة والنعمة
لقد مضى على انتفاخي منذ رايته ثمرة ١٨٧٤ من سنة انتفاخي عليه ، وما زال لي في اني لم اجد لرحله
الله لي لعدة اسباب استرحها لكم يا فضيلة :
اولا : اسرعت في عيني ، وارتقت بها ما امكنني حتى لا اضعها بها ما .
ثانيا : انشغلت باخبار احوال ، ولو شيعها ضحية ، لانها قد بقيت الشغلات في تاريخها
الذي لم يزل يتردد في الهمم في الاوقات المحتملة .
ثالثا : حاولت التمسك في المأثرة ، ولم اوفق ، ولم اتابع ، وحاولت ذلك في دمشق طويلا فلم
اذا في يد اسرة الاخ الركني ، ثم علمت اننا بنفسه ، لا سب - قد استرحها لكم اذا ما التفتنا .
ولم احده لولته في منى لعدة قرون على التفرس بلغتهم ، وعدم امس في فكره المراسلة والاشارة ذلك
وقد رأيت أخيرا ان اجل في حياة جزائرية (ومهران) مادام ذلك ممكننا ، وأن
التي وزعمته ان راج هذه النعمان الوقت لتفطها ، وليس ذلك صعبا او مستحيلا .
وعلمت فيكم لا سرات ، في رأيكم ، واذا انقلبت بالقبول ، فاني افترض عليكم احدى
المدفوعات التالية مع امثلة لعدة ايام ، ونعم بمرها ، ام افتراح غيرها :
اولا : العوقات الواضحة التي استعملت في سنة ١٨٨٥ - ١٨٩٨ (وقد علمت في هذا
الجملة ان خلفه كمنه ، الساتر في كبرها ، والاشارة في تاريخها .
ثانيا : النعمان المنه - الدهر (١٨٦٤ - ١٨٧٣)
ثالثا : ثمرة اوله في سنة ١٨٩٤ ككل ، او جانب من جوانبها الساتر او العكس (وهو
صريح اصل اليه اكثر من غيره) .
رابعا : ما كتب في ثمرة اوله في سنة ١٨٩٤ وعرضي ، ووضعي . (اصل اليه كمنه) .
لاني حاولت في حياة الى المرافقة من اجل المنجول والمجول على النعمان - او في رأيكم ، فاذا رأيتم
انتم سادة المرافقة ولم يطفئ مبدئية النعمان هذا العزلي ، ثم نشأ في الباني - ونشأ ورفقه
أحسن عاربه الميراب قبل بانيه الساتر ان امكن وسكرا والسراج

يحيى بو عزيز
سوري